عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

البناء الفني للحكاية في الليالي

بقلم

ياسين النصير

بغداد ـ الجمهورية العراقية

بدءاً يمكن ايراد هذه الملاحظات العامة حول الحكاية في الليالي ككل .

١ ـ لا تتشابه حكايات الليالي بعضها مع البعض الاخر ، فبعض الحكايات يستمر لعدة ليالٍ ، وبعضها يقتصر على ليلة واحدة[١] في حين تكون عدة حكايات في ليلة واحدة ، ويعطينا حجم الحكاية الشعبية والخرافية في الليالي مؤشراً شكلياً اولياً ، ومن ان الشكل الخارجي للحكاية ليس هو المهم في البناء ، بل ان مضمون ومحتوى الحكاية هو الذي يحدد حجمها وشكلها . فاذا كنا نعتبر بعض الحكايات اشبه بالقصة القصيرة ، فبعضها الاخر اشبه بالقصة القصيرة الطويلة ، وتعكس مسالة الطول والقصر وضعاً فكرياً معقداً، فالحكاية الطويلة التي تتفرع منها حكايات قصيرة عديدة ، تعتمد بطلاً مركزياً واحداً ، كحكايات حسن البصري ، التي يدور حوله ابطال ثانويين يكونون رئيسين في بعض الحكايات ، كحكاية زوجته من الجان ، ثم تعود اليه الحكاية ثانية بعد ان يكون قد تركه القاص ليوضح لنا حالات الابطال الثانويين ، مثل هذه الحكاية الام ؛ الحكاية الرحم ،تكاد تكون هي الاساس فيالليالي، اذا ما اعتبرنا ان كل الليالي وحكاياتها اساساً ؛ هي حكاية شهريار وشهرزاد وقد تفرعت الى حكايات صغيرة وكبيرة توزعتها مدن وبحار ، ملوك وامراء ، خاصة وعامة ، انس وجن .. الخ ولكن مثل هذا الامتقاد يسقط من الفهم البسيط لمعنى وشكل الحكاية الذي اعتمدته الليالي .. فالليالي ، اعتمدت لونين اساسيين من الحكاية . الحكاية الطويلة الموزعة الى حكايات صغيرة مرتبطة بها ومغذية لابعادها ، والحكاية القصيرة التي تتفرع احياناً من الحكايات الطويلة ، ولكنها تنتهي بانتهاء روايتها ، ولا يعود القاص الى بطلها او معناها ، ومن الحكايات الطويلة ، حكاية حسن البصري حكاية النعمان بن المنذر او حكاية ذات الدواهي ، او حكاية مسرور السياف ، وكما توضح لنا الليالي ان هؤلاء ليسوا الا ابطالا ثانويين ، فهناك خلف كل واحد منهم ملك او امير، من الجن او من الانس يدير شؤون الدولة او المملكة ، اما هؤلاء فليسوا الا اشخاصاً مهمين ولكنهم ثانويين في تاريخ ذلك الملك او الامير .

٢ ـ وما دمنا نقرأ الليالي بطبعات منقحة: وموزعة حكاياتها على الف ليلة وليلة توزيعاً ذوقياً ، فأن الزمن الداخلي لكل حكاية يبقى مجهولا . فقد وجدنا ان بعض الحكايات تتوزع على عدة ليالٍ ، ووجدنا عدة حكايات في ليلة واحدة ، او ان تكتفي الليلة بحكاية واحدة . مثل هذا التباين في الطول ، يلغي وحدة الزمن للحكاية الواحدة ، الزمن الخارجي ـ الذي تستغرقه شهرزاد للقص ، والزمن الداخلي ، الذي تستغرقه الحكاية فعلا ، وما دمنا لا نستطيع تحديد الزمنين من داخل الحكاية ، فان الليلة الواحدة لا تعطينا كامل الزمن الفعلي للحكاية ،

WWW.ALTAWEEL.COM

ولكن يصح اعتبارها ـ اي الليلة ـ معيارا نفسيا لوحدة الفن القصصي ، وهو معيار خارجي في كل الاحوال ، قد يساعدنا في فهم الوحدة الموضوعية للحالة التي كانت عليها شهرزاد وشهريار ، ولكنه لا يساعدنا في تكوين خصوصية معينة لمعنى وزمن الحكاية الواحدة .

الملاحظة الجوهرية ، ان الحكاية لا تنتهي كلها بانتهاء الليل ، بل بعض الحكايات القصيرة ينتهي قبل الفجر ، مما يستوجب على شهرزاد تغطية الوقت المتبقي بحكايات اخرى من ذات الجو نفسه ، او من تلك التي تركت قبل هذه الليلة ، كما ان بعض الحكايات تعبر الفجر ، ليصبح الفجر او الصباح حاجزا طبيعيا ونفسيا لفعل القص ، بمعنى اخر ، ان الحكايات محكومة بزمن طبيعي خارجي هو الصباح ، ويعكس هذا الوضع حالة لم تتطرق اليها الكتب التي الفت عن الليالي ، الا وهي تاثير الطبيعة على النفس المشبعة بالظلام والموت ، وكان هذا الفعل هو جزء من حملة مسعى شهرزاد لازاحة القتل والامتهان الذي يمارسه شهريار ضد بني جنسها .

ويمكن الذهاب الى مدى ابعد في قضية الزمن في الحكاية ، فالحكاية ، تعتمد الوحدة العضوية بين الزمان والمكان ، الا ان المكان فيها دائما يكون اكثر كثافة ، واقل محدودية . وهذا يعكس الوعي الذي كان عليه القاص الشعبي يومذاك ، اي محدودية المعرفة بالعالم الطبيعي الذي يحيط به ، وعندما كان يريد توسيعه حسب ما تتطلبه الحكاية ، جعل ذلك من جزر الجان ، وفي العالم السفلي تحت الارض ، وفي البحار المجهولة والمجاهل غير المعروفة ، وابتكر لكل ذلك اسماء . اما الزمن الخاص بالحكاية ، فكان زمناً متعدداً اي انه طويل ، يطوي القاص في داخله الليل ، النهار ، الفصول والسنوات وقلما تتاثر عواطف الشخصيات بتغييرات الزمن ، وان حدث وتغيرت تطلب من القاص مسعى لان يوصل ما انقطع بالعودة ثانية الى المغامرة .

٣ ـ يمكن تقسيم الحكايات الى ثلاثة انواع رئيسية ، حكايات عن الانسان ، وحكايات الحيوان . والحكايات المختلطة . علماً بأن الحيوان هنا ، ما يشتمل عليه عالم الجن والمسخ وكل الاشكال غير الطبيعية ، ولكن الحكايات لا تكون صافية ، فقد تبدأ بالانسان ، وفي استمرارها تدفع الى مجرى الحكاية احياء اخرى ، طبيعية وغير طبيعية ، والحكايات الخاصة بالانسان وافعاله ، هي تلك التي كتبت متأخرة ، وحاكت احوال ومواضيع الناس في العصر العباسي ، ويغلب عليها الطابع الاجتماعي ـ السياسي والديني ، وابطالها ممن عرفنا بهم التاريخ وحكت لنا عنهم الكتب ، اما الحكايات الخاصة بالانسان مع الحيوان او الجن ، فهي من ابتداع خيال القاص الذي اراد ان يوسع مدى فاعلية الحكاية ويشمل بها عالمين ، عالم الخفاء ، وعالم العيان ، وهو ما يجعلنا نقترب من حكاياته من المعنى الحقيقي للحكاية الشعبية ، حيث امتلكت مقومات لم تكن موجودة في الحكايات التي اعتمدت الانسان لوحده ، اما الحكايات الخاصة بالحيوان او الجن على مختلف اشكالهم والوانهم ، فهي النوع الذي يقربنا من الحكاية الخرافية ، وفيه نجد ذلك العالم الخفي وقد تشكل بوضع متماسك وبدا يمارس فعله وطقوسه بحرية تامة . وكما يبدو ان هذه الحكايات هي الاقدم في الليالي ، تليها الحكايات المختلطة ، ثم حكايات الانسان .

٤ ـ يلاحظ قارىء الحكايات ان اسلوبها بسيط ، وتركيب جملها عادي وسهل ، وتكثر فيه السكنات ، كصورة من الصور العامة اليومية المألوفة ، وكان الاسلوب بهذه الخصائص لا يمت من قريب او بعيد الى ما تعارفنا عليه من فنون الادب ، وصفاء العبارة وقوة المعنى ودقة التعبير . ويعكس هذا الوضع طابع العصر الذي كتبت فيه ، ولكن ليس كل العصر ، وانما العصر الذي بدا فيه الأدب الشعبي يدون ، ويصبح مادة للتداول والقص ، وانتقال الحكاية من مرحلة الشفاهة الى مرحلة التدوين يبرز هنا الطابع الذاتي والفردي للقاص ـ رغم مجهولية القاص ورغم تعدده ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ان الادب المدون في الليالي ـ هو ادب العامة ، وادب مجالس اللهو والطرب ، وادب البيوت والمواثل البسيطة ، ولكونه مزج السحر بالواقع ، والخيال بالممكن ، وحكى عن الشاذ والمنطقي ، والمعقول واللامعقول ، وكان في تغطيته لهذا اللون من الاهتمام الشعبي يتقرب الى فهم العامة ، والى مداركهم البسيطة ، ويجعل من القص نفسه وسيلة لشيوع الادب الشفاهي اولا ثم تدوينه كما هو ثانيا ، ومما يؤكد هذه الحاجة ، ان الشعر الذي احتوته الليالي ، هو من انواع الساذج والتلفيقي ، والذي يجهد القاص نفسه لوضعه ضمن سياق الحدث القصصي تطعيماً بجو خاص ، وانتقاله بالسرد من حالة السماع الى حالة التخيل ، وتحويل هم السامع الى ما يحس به البطل لحظة تازم الموقف ، والشعر

كما هو معروف ليس الا نظاما عاديا ، لا روح فيه ولا قيمة متميزة ويستطيع القارىء ان يتصرف على الطريقة التي ادخل فيه الى مجرى الحكاية بسهولة ، فيشعر به وكانه قطعة ملحقة من خارج المجرى النفسي والشعوري العام ؛ واضافة الى ركة كلماته . وعبارته ، ركة في صوره ، وتدن في معانيه ، ويعكس بالطبع حال الشعر في تلك المرحلة ، حيث اكثر فيه اللحن ، وتدخلت كلمات واجواء غير عربية نتيجة تبدل الولاة ، وتغيير الحالات الاجتماعية تمهيدا الى الانهيار التاريخي الكبير الذي حدث بسقوط بغداد .

كما احتوت الليالي على كل اساليب القص، الراوي ، والمتكلم والمخاطب ، وكانت كل هذه الضمائر ، تسير تحت غطاء ضمير الراوي شهرزاد، مما يجعل فن القص نفسه مستوعبا للطرق الشائعة في الحكاية الشعبية والخرافية على حد سواء ، يضاف الى ذلك ان هذه الضمائر، تنوعت بتنوع الاشكال التي تتجسد فيها الحكايات ، فهناك الحكاية التي تحكي حياة بطل ما ، ويكون السرد مصاحبا لهذا اللون ، وهناك المواعظ والنكت ، وهي من التي يتدخل الراوي في صياغتها كتعبير عن وضع ما داخل الحكاية ، وهناك الفنطازيا المتخيلة ، كقصص الجن والسحر ، ويكون الراوي هو الغالب في تجسيدها .. وباحتواء الليالي على هذه الاساليب ؛ تعرض لنا « وحدة » شاملة ، جامعة لاشكال السرد القصصي يومذاك فكانت بتعدد اشكاله تقرب الفهم بين العامة والخاصة وتوحد في المشاعر الاجتماعية العامة ، وتعطينا مؤشراً على طابع الحياة الثقافية في ذلك العصر .

« وتميل لغة الف ليلة وليلة عموما الى النثر المسجوع وهي كثيراً ماتلائم بحق اناشيد الحب العاطفية التي كان عصر ازدهارها فيما بين القرن الثاني عشر ، حتى القرن الرابع عشر ، وهو نفس العصر الذي ازدهر فيه التروبادور في الغرب وشعراء الحب والاغنيات الشعبية ازدهاراً كبيرا وربما تاثر كذلك الادب الاوربي الذي تغنى بالحب، بفن الادب عند الاسبان العرب حينذاك »(٢) .

٥ ــ ويبقى بعد ذلك ما يسمى باسلوب الف ليلة وليلة الروائي ، الذي عد فتحاً في الآداب الاوربية يوم ترجمت بالفرنسية اليها قبل اكثر من مئتين وخمسين سنة خلت(٣) ويمكن ايجاز اسلوب الليالي الفني ، من انه ذلك التتابع الحدثي المتسلسل دون الوقوف عند حدث صغير معين بل ربط جميع الاحداث بوحدة مركزية هي الحالة التي كان عليها كل من شهريار وشهرزاد ، الا ان هذا الايجاز يخل بالمعنى الاساسي للفن الروائي في الليالي . ولكن نعيد هنا بعض ما اشرنا اليه اثناء الحديث ، لابد من البدء من اوليات هذا الاسلوب ، واقصد به بناء الحدث .

بدءاً ، نقول ان الحكاية المتنوعة . الشعبية والخرافية والاسطورية ؛ قد اختلفت داخلياً في تركيبها الفني ؛ بمعنى ان هذه الحكايات لاتتشابه فنياً لما تمتلكه كل واحدة منها بخصائص نوعية متميزة ؛ الا اننا نؤكد هنا ان هذا الاختلاف هو احد سمات فنها الروائي ؛ اي ان تنوع اساليب القص جعل لاسلوب الليالي العام ميزة روائية خاصة بها .

وثانياً ؛ ان الابطال ــ وقد جرى بعض الحديث عنهم ــ كانوا من الثانويين ، والذين يطلق عليهم لوكاتش ــ البطل التاريخي العالمي ــ وهؤلاء يمثلون بوضعيتهم الطبقية والفكرية ، الشخوص الاكثر التحاما بالاحداث الشعبية ؛ فهم نوافذ الخليفة او الامير على العامة ؛ وهم مجسات العامة لوضع المملكة او الخلافة ، ولكونهم كذلك احتلوا مساحة كبيرة من فن الرواية الخاص كذلك كانوا في الموقع الذي اتاح لهذا الفن من ان يتخذ جوانب خفية وعلنية من مسار التاريخ العام للدولة .

والخصيصة الثالثة ، ان الاحداث تتوالد ، بعضها من بعض ، ويحدث توالدها امتدادا ، فتخلف شخوصا واوضاعا جديدة ، بحيث لا نستطيع القول ؛ ان هذا الحدث ينتهي عند هذه الشخصية او في هذا الموقع ، هذا التوالد الحي ؛ الغى بشكل او باخر مركزية البطل ، كما الغى وقوف مجرى التاريخ عند حدث معين ؛ بل كان ينساق وراء الانسياب العام للتاريخ ؛ ويستوعب وهو في طريقه حركته ونموه واتساعه ، فتجد ان الليالي في بدئها كانت محدودة الفعل ؛ ثم تتوسع لتشمل ممالك وامصار ، قديمة وحديثة ، في الواقع وفي الخيال . ويشبه الفن في داخلها العلبة الصينية الكبيرة التي يمتلىء جوفها بعلب اصغر متشابهة ، فكلما فتحت واحدة ادت الى اخرى ، الا ان الامر في الليالي عكس ذلك يبدأ من العلبة الأصغر في الحلقة ؛ فما ان تضع العلبة الصغيرة ؛ حتى تحتاج لان تضع حولها علبة اكبر ؛ وهكذا تستمر العملية لتجد نفسك في اخر المطاف وقد استوعبت شمول الحياة والتاريخ الذي عاصرته . بل ومازالت تتسع لتشمل اوضاعا قائمة لحد الآن.

وتأكدت اهمية الفن الروائي لليالي ، مما اثرته في الرواية الادبية في فترة نشوئها ، ونهوضها ، فقد امدتها بطاقة تعبيرية شكلية وفكرية ، وليس ما عرضته الليالي من حالات واوضاع ، هو الذي اثار روائيو القرن التاسع عشر(٤) انما ما امدتهم به من سمة الخيال وتوالد الاحداث ؛ وامتداد المشاعر ؛ وعدم الوقوف عند منعطف واحد من منعطفات التاريخ ، وكانت بذلك توازن الحياة الاقطاعية والارستقراطية الادبية بشيء من الحياة العربية القديمة ، وكما اشرنا ان ترجمتها جاءت في نفس الفترة التي انتعش فيها الأدب الشعبي ، والاغاني ، وهذا يعكس في جانب منه الحاجة التاريخية الى من يستوعب هذه الطفرات في حياة الشعوب ، فكانت الليالي النافذة الاكثر سمة للواقع الادبي الجديد .

٦ ــ وتعزو العديد من الكتب ، ان اصل الليالي هندي وانها كتبت في القرنين التاسع والعاشر ، ويدلك الكتاب على هذا الاصل من ان طبيعة « الحكاية الهندية تمزج حكاية باخرى ثم مزجهما معاً في حكاية ثالثة ، وفي اسلوبها الذي يتوقف بالحكاية مرة ثم يصلها مرة اخرى . .»(٥)

الا ان الليالي ليست كلها حكايات هندية ، وهذا يعني ان الحكايات العربية تلبست الطريقة ذاتها التي اعتمدتها الحكاية الهندية .

وتؤكد كتب المستشرقين من ان العرب عرفوا انواعا عديدة من الحكايات ؛ الشعبية والخرافية ، وعدها بلاشير من ضروب النثر الادبي . وافرد لها فصلا كاملا في كتابه تاريخ الأدب العربي فعرفنا على الاسطورة البطولية ، والقصص الطريفة وقصص الشطار والاذكياء ، والقصص الغرامية والتعبير عن المثل الاخلاقية والحكمة والتجربة ، والاقوال المأثورة والامثال والحكم ، والقصة على لسان الحيوان والحكمة المثلية والحكاية التقويمية . وظهور حب الاستطلاع وحكاية البدو شبه التاريخية .. الخ(٦) ، اضافة الى مايؤكده ادم ميتز من شيوع فن القصاص في بغداد وغيرها من المدن ، يوضح لنا ان للحكاية الشعبية والخرافية جذوراً تمتد الى القرنين الخامس والسادس استوعبتها الليالي ، كحكاية سليمان الحكيم ، واثر السحر والقدرة الخفية التي افردت لها الليالي الكثير .

وما يجعلنا نطمئن الى ان الحكاية في الليالي ذات جذور عربية واخرى فارسية وهندية هو ان الاسلام لم يقف بوجه هذا اللون من النثر ، بل ان القرآن كان يواجه لدى المشركين بدعوى انه ذا جذر خرافي ؛ الا ان القرآن اثبت العكس من ذلك عندما ربط « كلية » الحياة الجديدة التي دعا اليها بتاريخ الانسان ككل ، فكان يفرز بين حكايات الانبياء والمرسلين؛ وبين خرافات العامة؛ فانتصر للاولى باعتبارها جزءاً من ترسيخ الفكر الديني ــ الفلسفي ، ورفض الثانية باعتبارها جزءاً من ترسيخ العقلية الجاهلية . وقد نبذ النبي محمد (ص) حكايات « النفج » او « القشور »(٧) كما نبذتها بقية الاديان السماوية، وقديماً نبذها افلاطون كذلك .

٧ ــ والحكاية ككل في الليالي ثلاثة اشكال متميزة ، الحكاية الخرافية ، والحكاية الشعبية، والحكاية التي تجمع بين الاثنين ، ولهذا التنوع اسبابه الفنية التي نبعت اساسا من محتويات الحكاية نفسها . وقد اشبعتنا الكتب التي تحدثت عن انواع الحكايات بالتعريف والتفسير وفرز الخصائص العامة والخاصة لكل من الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية ، ويمكن الرجوع الى ذلك بسهولة(٨) ، الا ان النوع الثالث من الحكايات ؛ لم تتطرق اليه هذه الكتب الا لماماً ، فالحكاية التي تجمع بطلا وحدثاً خرافياً الى جانب بطل وحدث شعبي ؛ تجعلنا نركز عليها هنا ، باعتبارها الشكل الذي اوجدته الليالي ، وغيرت به عن « كلية » الحس الشعبي العام الذي كان سائداً يومذاك ، والحديث عن « كلية » الحس الشعبي من خلال هذا النوع من الحكايات ، يقودنا الى تاكيد نواح هامة من خصائص التاريخ العام يومذاك ، وهو ما تطرقنا اليه بعض الشيء خلال هذه المقالة .

الا ان هذه الكتب تتحدث عن الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية من خلال الحكاية الاوربية والشرقية القديمة ؛ وهذا ما يجعل الكثير من الخصائص التي توردها منطبقة على حكايات الف ليلة وليلة ؛ ويبقى عدد اخر من الخصائص لم تشر اليه تلك الدراسات ، او اشارت اليه ضمناً ، ونكتفي هنا بايراد الفروق بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية التي كونها « ماكس لوتي » وادرجها دير لاين في كتابه الحكاية الخرافية(٩) واود هنا الاشارة ، الى ان هذه الخصائص مبعثرة ، وموزعة على جميع صفحات الكتب ، ولذلك لجات هنا الى تلخيصها واعدادها بشكل يوضح الفروق بين الحكاية الخرافية والشعبية بدقة .

الحكاية الخرافية	الحكاية الشعبية
١ ـ لا تتسلسل الحوادث فيها ، وانما تتكرر ، ولذلك فهي تصور الموضوع مرة واحدة وبطريقة اكثر تركيزا بل اكثر اقتصادا .	١ ـ الحوادث فيها تتسلسل تسلسلا متصلا والموضوع فيها يسير في خط مستقيم .
٢ ـ الحكاية الخرافية ذات بنية مركبة .	٢ ـ الحكاية الشعبية ذات بنية بسيطة .
٣ ـ الحكاية الخرافية ذات بنية ملحمية مركبة.	٣ ـ الحكاية الشعبية لا تعتمد البنية الملحمية لانها متسلسلة تسلسلا متصلا .
٤ ـ تعطيك انطباعا بأن ما تسمعه فيها ، سبق وان سمعته أو هو من المعارف العامة .	٤ ـ لا تقف كليا عند هذا الشرط ، وان اعتمدته جزئياً ، لان الحكاية الشعبية منفتحة اكثر على الحياة وعرضة لان تزداد حجما وفنا .
٥ ـ تركز حدثها حول شخصية رئيسية مركزية	٥ ـ لا تركز حدثها حول شخصية رئيسية دائما ، بل انها تصور الانسان الوحيد .
٦ ـ لا تبتدىء الحكاية الخرافية فجاة بالحركة كما لا تنتهي فجاة بنهاية محددة .	٦ ـ بينما تعتمد الحكاية الشعبية وضوح البداية والنهاية .
٧ ـ الانسان في الحكاية الخرافية يتصل بمحض اختياره بقوى العالم الآخر .	٧ ـ الانسان في الحكاية الشعبية ، وحيد ومنفرد .
٨ ـ الحكاية الخرافية ذات طريقة تجريدية في العرض .	٨ ـ الحكاية الشعبية ذات طريقة حسية من العرض .
٩ ـ لا تفصل كثيرا في العوالم الاخرى .	٩ ـ تصور الحكاية الشعبية العوالم الاخرى بدقة وتفصيل ، مازجة كل ذلك بالطبيعة .
١٠ ـ الحكاية الخرافية تتحرك بين ما هو جاد وهزلي .	١٠ ـ الحكاية الشعبية جادة في طبيعتها.
١١ ـ لا تتحدث الحكاية الخرافية عن مخلوقات العالم الاخر بتفصيل . تحكي فقط عن العفاريت والجن والمردة ولكنها لا تصفهم.	١١ ـ تتحدث الحكاية الشعبية عن مخلوقات العالم الاخر بتفصيل ، عن ما فيهم وعاداتهم اليومية .
١٢ ـ التبعات التي تلحق بطل الحكاية الخرافية تتحدد بما يستقبله من هذه القوى والتي تكون اما مساعدة له ، أو معادية ، ولذلك فالمردة والجن وغيرهما لهم قوة محددة من قبل .	١٢ ـ التبعات في الحكاية الشعبية هي الوفاء الذي هو نتاج للمواهب التي يستقبلها البطل من مخلوقات العالم الاخر . اي لا يكون دائما مضاداً لها .
١٣ ـ الحكاية الخرافية تنتمي كلها الى الادب	١٣ ـ اما الحكاية الشعبية فتمد مزجا بالواقع الحقيقي ؛ وليس لها طابع ادبي صرف ، انها تود ان تحكي عن غرائب عالم الواقع وغرائب العالم الاخر .
١٤ ـ تنتمي الحكاية الخرافية كليا الى العالم الاخر ، الى الحقيقة الاخروية .	١٤ ـ تنتمي الحكاية الشعبية كلها الى الحقيقة الدنيوية .
١٥ ـ عندما تتحدث الحكاية الخرافية عن الجنة مثلا ، تفرد التناقض بين فقر الحياة الارضية والحياة السماوية .	١٥ ـ تميل الحكاية الى تصور الفقر هذا ايضا ولكن المستخلص من الحياة الارضية فقط

الحكاية الخرافية	الحكاية الشعبية
١٦ ـ تعتمد الاحلام التي تصور المخاطر المفزعة والمواقف الصعبة .	١٦ ـ تعتمد عليها ولكن بحدود .
١٧ ـ تعيش في جو من السحر الكامل .	١٧ ـ تعيش في جو واقعي ، ولكنها تعرف القليل من السحر واشكال العالم المجهول. الا انه ليس السحر الذي تعتمده الحكاية الخرافية ويرجع ذلك الى اختلاف البطل بين الاثنين .
١٨ ـ بطل الحكاية الخرافية مغامر في الاغلب .	١٨ ـ بطل الحكاية الشعبية بالاضافة الى المغامرة الملازمة له ، يعيش الحوادث في العالم الواقعي ويصور المعايشة في العالم المجهول .
١٩ ـ بطل الحكاية الخرافية كلي ، بمعنى ان الزمان والمكان عنده غير محسوسين .	١٩ ـ بينما بطل الحكاية الشعبية ، يعيش الحاضر والماضي والمستقبل ولذلك تفعل الحكاية في الزمان وفي المكان .
٢٠ ـ لا تتحدد الحكاية الخرافية بالانتماء الاسري ، القبلي .	٢٠ ـ تتحدد قيمة البطل في الحكاية الشعبية من انه ينتمي لهذه القبيلة او تلك ، وان للحكاية الناجحة هي التي تمجد القبيلة او الاسرة ، مؤكدة على الروح الشعبي العام .
٢١ ـ مادة الحكاية الخرافية ورموزها تتلخص في انها صورة للشيء المحرم الذي لا يحق للبطل ان يقترب منه .	٢١ ـ لا تتحدد دائما بهذا الفهم وان استخدمته بعض الاحيان .
٢٢ ـ تصلح الحكاية الخرافية لما تمتلكه من رموز ومستويات غير واقعية ان تكون مادة لعلم النفس وللاداب ، كما كانت رموزها منتشرة في العديد من النتاجات الادبية والفنية خلال القرنين الماضيين .	٢٢ ـ تعطي الحكاية الشعبية طاقة فكرية لخيال الادباء ، ولكنها لا تصلح ان تكون مادة للدراسة النفسية .
٢٣ ـ تعتمد الحكاية الخرافية على الاحساس الشعبي المتفائل .	٢٣ ـ بينما تعتمد الحكاية الشعبية على الاحساس الذاتي .
٢٤ ـ يمكن اعتبار الحكاية الخرافية من اسمى صور الادب الرمزي .	٢٤ ـ لا ترتقي الحكاية الشعبية الى مثل هذا المستوى .
٢٥ ـ الحكاية الخرافية، هي نتاج قوى الانسان الشاعرية ، وعلى مدى حقب عديدة من تاريخ الانسان وتتصل بتاريخها الى اقدم العصور .	٢٥ ـ اما الحكاية الشعبية فهي اقصر زمنا ، ولكنها نتاج ايضا لقوى الانسان الشاعرية والاجتماعية .
٢٦ ـ تهتم الحكاية الخرافية بالمتعة الفطرية في تصوير الامور الخارقة للعادة . تلك التي لا يمكننا على الاطلاق ان نصدقها .	٢٦ ـ تبني الحكاية الشعبية بعض اجزائها على معتقدات الناس الحقيقية والبعض الاخر على المتعة الفطرية .

وبالامكان ايراد عدد اخر من الفروق الثانوية فلقد حرصت هنا ان ادرج الفروق الجوهرية والاساسية بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية ، وغايتي من وراء ذلك ليس البحث في هذه الفروق ، ولا محاولة وضع جدول تفصيلي لهما ، وانما اردت ان اوضح للقارىء الليالي قضية مهمة وهي :

ان الحكاية في الليالي لاتتشابه احيانا مع اي من ابعاد الحكايتين بالتمام ، فهي تحمل من خصائص الخرافة شيئا ، ومن خصائص الحكاية الشعبية اشياء ، ولذلك يمكن ان نطلق عليها حكاية البين بين ، اي حكاية الليالي ذات الاجواء الاجتماعية الخاصة ، والتي تعبر عن مرحلة تاريخية مهمة من تطور المجتمع العربي ، عندما وجدت الحياة الشعبية مادتها الى جانب الموروث الحجمي الذي حمله الشعب من عادات وتقاليد واساطير ماضية ، ووضعت كل هذا المزيج الحضاري الجديد تحت سماء الدين الاسلامي فحذف واضاف ، وشذب واناض ، فجاءت حكاية الليالي ذات خصوصية اجتماعية ـ تاريخية تحمل في بنيتها ما تعارف عليه الدارسون من خصائص للحكايات ، كما حملت كما يقول دير لاين وغيره خصائص الحكاية الهندية والفارسية والبابلية والفرعونية ، وتوسمت باعتبارها نتاج المجتمع العربي الواسع الذي يطل على بحار ثلاثة ، لتشمل الحس الشعبي الاوربي النامي في اغاني الرعاة والاناشيد والغنائيات التي بدات تظهر في ربوع اوربا يومذاك ، غير عادته النافذة الواسعة التي خلقها المجتمع العربي في اوربا ، الا وهي اسبانيا .

★

ومرة اخرى ، اعود لاكرر القول ،ان الرحلة مع الليالي متعة لا تنهيها ، نهاية صفحاتها ، والرحلة مع الليالي ، اكتشاف تستحق ان يعرف المرء الوقت الكثير للايفاء بها .

الهوامش

(١) من الليالي القصيرة مثلا الليالي بين ٨١٠ و ٨٢٠ ، طبعة بولاق ـ اوفسيت ومن الليالي الطويلة ليلة ١٣٧، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .. وعموما نجد ان ليالي الجزء الاول اطول بعض الشيء من ليالي الجزء الثاني ، وسبب ذلك يعود الى الناشر والمعد .

(٢) الحكاية الخرافية . فردريش دير لاين ، ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ص ١٩٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٠ ، حيث يعتبر عام ١٧٠٤ بداية لنقل حكايات الف ليلة وليلة الى اللغة الفرنسية .

(٤) المصدر السابق ص ١٩٠ .

(٥) المصدر السابق ص ١٩١ .

(٦) تاريخ الادب العربي ، بلا شير ، ص ٤٠٤ ـ ص ٤٩٢ ، ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٧٤ .

(٧) الحكاية الخرافية ص ١٢٨ .

(٨) بالاضافة الى كتاب الحكاية الخرافية ، كتاب اشكال التعبير الشعبي للدكتورة نبيلة ابراهيم الذي استفادت من الحكاية الخرافية الشيء الكثير .

(٩) الحكاية الخرافية ص ١٢٦ وما تلاها :
وهناك مصادر اخرى استفدت منها في هذه المادة ، اذكر منها :

١ ـ الرواية التاريخية ، تاليف جورج لوكاتش . الدكتور صالح جواد كاظم ونشرتها وزارة الثقافة والفنون العراقية عام ١٩٧٨ .

٢ ـ الملامح السياسية في حكايات الف ليلة وليلة . للاستاذ احمد محمد الشحاذ منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية عام ١٩٧٨م .

٣ ـ الطبعة التي اعتمدتها من الليالي ، هي طبعة بولاق ، اوفسيت مكتبة المثنى .

٤ ـ البطل في الادب والاساطير ، للدكتور شكري محمد عياد .

٥ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، آدم متز .

WWW.ATTAWEEL.COM